هذه الثقافة المجازية هي:

ثقافة جسد في مقابل ثقافة العقل..

وهي ثقافة جارية في مقابل ثقافة السيدة..

وهي ثقافة كتاب في مقابل ثقافة الإبداع..

وهي أولاً وآخراً ـ ثقافة الرجل بلغة الرجل وعقل الرجل، ولكنها في ذاكرة الأنثى وعلى لسان الجارية، مما يمثل استلابا أنثويا لكل ما هو رجالي.

والأنثى هنا لا تقدم ثقافتها الخاصة ولا لغتها الذاتية، ولكنها تخطف سلاح الرجل وأدواته وتصوبها نحوه لتهدم صنم الفحولة من عليائه. وسنقف على هذه المعالم المجازية واحدة واحدة.

2 - 2 هناك علاقة وثيقة بين جسد المرأة وثقافتها في هذه الحكاية، فالجارية (تودد) هي من جهة (أجمل) نساء عصرها، وهي من جهة أخرى (أعلم) أهل زمانها. ولننظر في الوصف التفصيلي لجمالها حيث نقرأ:

«وكانت الوصيفة هذه ليس لها نظير في الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال، وهي ذات فنون وآداب وفضائل تستطاب قد فاقت أهل عصرها وأوانها، وصارت أشهر من علم في افتنانها وزادت على الملاح بالعلم والعمل والتثني والميل مع كونها خماسية القد مقارنة للسعد بجبينين كأنهما هلال شعبان وحاجبين أزجين، وعيون كعيون غزلان وأنف كحدّ الحسام وخد كأنه شقائق النعمان، وفم كخاتم سليمان وأسنان كأنها عقود الجمان، وسرة تسع أوقية دهن بان، وخصر أنحل من جسم أضناه الهوى وأسقمه الكتمان وردف أثقل من الكثبان، وبالجملة فهي في الحسن والجمال جديرة بقول من قال:

إن أقبلتْ فتنتْ بحسن قوامها أو أدبرتْ قتلتْ بصدٍّ فراقها